قراءة نقدية

- في ضوء الكتاب والسنة -

في كتاب (الهيروغليفية تُفَسِّرُ القرآن)

دراسة ونقد

د. عَبد الله بن صالح الخضيري

الأُسْتَاذُ المُسَاعِدُ بِقِسْمِ الثَّقَافَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ؛ كُلِّيَة الدَّعْوَةِ وَأُصُولُ الدِّيْنِ

جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى – مَكَّةُ المُكَرَّمَة

قراءة نقدية
- في ضوء الكتاب والسنة -
في كتاب (الهيروغليفية تُفَسِّرُ القرآن)

دراسة ونقد د. عَبد الله بن صالح الخضيري

ملخص البحث

هذا البحث هو دراسة علمية نقدية لكتاب (الهيروغليفية تُفَسِّرُ القرآن) زعم فيه مؤلفه أن الأحرف المقطعة هي ترجمةٌ حرفيةٌ للهيروغليفية بنى كلامه ونظرياته على فرضياتٍ متتابعة لم يترك مجالاً للنصوص القرآنية أو السنة النبوية أو كلام السلف وقد أوضحت الدراسة: أن الإجماع وقع على عربية القرآن، وأن وجود الأعجمي في القرآن مخالفٌ للآيات القرآنية بنفي العجمة عنه، وأن ما كان أصله أعجمياً فقد تناوله علماء اللغة وأهل التفسير بالدراسة وبينوا عربيته ودخوله العربية. وأن حمل الخطاب القرآني على غير العربية يعتبر تحريفاً للكلم عن مواضعه، وأوضحت الدراسة خطورة القول براي مؤلف الكتاب إذ إنه يعد قدح في بيان النبي ﷺ للقرآن وتفسيره، والصحابة والتابعين – من أهل القرون المفضلة – رضي الله عنهم – وذلك قدحٌ في شريعتنا، كما أوضح البحث من هذا المنطلق أن الرسول ﷺ يكتب للمقوقس ملك مصر بالعربية ويدعوه للإسلام بها، ويرد عليه الآخر بلغة الإسلام لا لغة القبط، كما بينت الدراسة من الوقع العلمي والمنطقي ضرورة الجزم بأن الأحرف المقطعة من اللسان العربي المبين الذي يجب الإيمان به، وأن هذه الأحرف مفهومة المباني متعددة المعاني، فهي أحرف عربية، ومن جنس الكلام العربي المفهوم سواءً في التهجي أو في الجمل.

Research Summary

This research is a scientific and analysis of the book titled " Hieroglyphic language interprets the Quran ", canceling the pretence around the roots of the Arabic language and interpret the symbols of the letters in the holy Quran in Coptic language in Egypt. The research showed that the book writer's opinion is untrue as the research contains lies and contradictions against the scientific methodology and also lies on Quran interpretation scholars. The research proved that the Arabic language is very old the prophet Ishmael spoke Arabic. The similarity between the two languages doesn't mean identification, using the Hieroglyphic language was on a narrow range at the time of pharaohs; it was only a dialect used by Coptic, they drew shapes. We conclude that the separate letters in the holy Quran is an Arabic tongue; we should believe in that. We should also believe that the Arabic language's structures and meanings are understood. The Quran has revealed Arab issues. The Arabic content in Quran is from God. Quran is interpreted by Quran. Arabic language is comprehensive so it is impossible to need another language. Saying that Quran has another languages rather than Arabic is distortion and offence to Shari at. Also, it is an offence to the prophet Muhammed peace be upon him of neglecting to explain and interpret the holy Quran as well as his followers who are the best to understand the verses and reasons in Shari at. This contradicts the status of the prophet and his followers who explained the meanings & structures of the holy Quran. May God treat them good as they have done well.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران: ١٠٢، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ النساء: ١، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١ أما بعد.

فَقَدَ كَتبَ المَبارِكُون مِن الأَئمةِ والأخْيَار فِيْ الدفَاعِ عَن القُرْآنِ الكَرِيْم وَرَدِّ الشُبُهَاتِ عَلَى مُفْتَرِيْهَا وتَحْقِيْقِ مَقَاصِدِ القُرْآن الكَرِيْم في حِفْظِهِ و تَزْكِيَةِ شَرائِعِهِ، وتأْكِيْدِه وَ تَصْدِيْقِ شَعَائِرِهِ، فِيْمَا كَانَ مُعْجِزاً لعقُولِ البَشَرِ عَن مَمائلَتِهِ، وَهَادياً لِبَيَاض القُلُوب إلى تَصْدِيقِهِ والإيْمَانِ بِه.

و مِمَّا ظَهَر فِي الآوِنَةِ الأَخِيْرَةِ كَلاَمُ لأحَد الُمرْشدِيْنَ السِّيَاحِيِّين فِيْ دَوْلَة مِصْرَ أشَارَ إلَى نَفْسِهِ بِـ: أَحَد البَاحِثِنَ فِيْ اللغَة الهِيْرُوْغليْفيَّة؛ في كتاب سمَّـاه (الهيروغليفيـة تُفَسِّرُ القرآن)[1]، تَنَاوَل فيْهَا أقْدَمِيَّة اللغَةِ الهِيْرُوْغليْفيَّة وزَعَم قدَاسَتَهَا وأنها لغة الأنبيَاء وأنَّ الوحيَ قَد نزَلَ بهَا، وعنْد المنَاقشَة العِلْمِيَّـة يَتـضِحُ الـصوابُ والغَلَـطُ، خَاصَّـةً إذا صَـحَت طريقة الإستدلال و توفّرت آلآتـه مِمَّـن تتـوَفَّرُ فِيْـهِ للاجْتِهَـادِ أَدَوَاتُـهُ وَ صِـفَاتُهُ يقـول الحـسن: (أَهْلَكَتْهُمُ العُجْمَةُ، يَقْرَأُ أَحَدُهُمُ الآيَةَ فَيَعْيَ بِوَجُوهِهَا حَتَّى يَفْتَرِيَ عَلَى اللهِ فِيْهَا)[2].

ولكنَّ المسْأَلَة ههنَا قَد تَخْتَلِفُ إِذْ إنَّ المؤلِفَ – سامَحَه الله – ألغَى الدِّلاَلَة الشَّرْعيَّةَ وَأَبْقَى الدِّلاَلةَ المُجَرَّدَة – غير المبنِيَّةِ عَلى دَلائِل مِن الَمنْطَوْقِ أَوِ الَمفْهَومِ –،

مُخَالفاً مَنطُوقَ القُرْآنِ وَمَفْهُومَهُ؛ إِذْ زَعَمَ أن الأَحْرُفَ المُقَطَّعَةَ فِيْ أَوَائِلِ السُّوَرِ إِنَّمَا هي تَرْجَمَةٌ حَرْفِيَّةٌ لِّلغَةِ الهِيْرُوْغليْفِيَّة، وَهَذا مُخَالِفٌ لِمَا فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ كما يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعالى فِي سُورةِ يُوسف ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ يوسف: ١ – ٣ وقول الله سُبحَانَهُ وَتَعالى في سورة الرعد ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧﴾ وقول الله سُبحَانَهُ وَتَعالى في سورة النحل ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ وقول الله سُبحَانَهُ وَتَعالى في سورة طه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣﴾ و يقول الله جلا وعلا في سورة الشعراء ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ وقول الله جلا وعلا غي سورة فصّلت ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾

وقول الله جلا وعلا في نفس السورة ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾

وقول الله سُبحَانَهُ وَتَعالى في سورة الشورى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ وقول الله سُبحَانَهُ وَتَعالى في سورة الزخرف ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ وقول الله جلا وعلا في سورة الأحقاف ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾، كَمَا أَنَّ هَذَا مُخَالِف لمفهوم العقل السَلِيْم: (لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه لا بلغة وعادة واصطلاح أحدثه قوم آخرون بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته كما قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[3].

ومن هنا شدد ابن جرير الطبري – رحمه الله – على من حمل معنى الحروف المقطعة على غير العربية (وكأنه يرد في الحقيقة على صاحب الهيروغليفية) فيقول: (وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ويستعلمون بينهم من منطقهم في جميع آية فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور التي هن لها فواتح سبيل سائر القرآن في أنه لم يعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ولها بينهم في منطقهم مستعملين لأن ذلك لو كان معدولاً به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم كان خارجاً عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن فقال تعالى ذكره ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥وأنى يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة

ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ما يكذب هذه المقالة وينبئ عنه أن العرب كانوا به عالمين وهو لها مستبين فذلك أحد أوجه خطئه والوجه الثاني من خطئه في ذلك: إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك

الخطاب به وذلك إضافة العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله إلى الله تعالى ذكره.[4]

وفي هذا السياق يقول ابن تيمية – أيضاً -: (إن الاستدلال بالقرآن إنما يكون على لغة العرب التي أنزل بها بل قد نزل بلغة قريش كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ ابراهيم: ٤، وقال جلا وعلا ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ يوسف: ٢، فليس لأحد يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف وعام واصطلاح خاص بل لا يحمله إلا على معاني عنوها بها إما من المعنى اللغوي أو أعم أو مغايرا له لم يكن له أن يضع القرآن على ما وضعه هو بل يضع القرآن على مواضعه التي بينها الله لمن خاطبه بالقرآن بلغته ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفا للكلام عن مواضعه) [5].
ونكون بذلك قد امتثلنا الأمر الرباني، وأثبتنا حينها المعجزة الخالدة للقرآن (أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ ابراهيم: ٤، وقال الله جلا وعلا ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ النساء: ٨٢ ولولا أن القرآن بلسان العرب ما جاز أن يتدبره ولا أن تعرف العرب معانيه إذا سمعته؛ فلما كان من لا يحسن كلام العرب لا يحسنه وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه علم أنهم علموه لأنه بلسانهم نزل) (٤). وفي هذا السياق يقول البيضاوي: (بأنها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت مفهمة فإما أن يراد بها السور التي هي مستهلها على أنها ألقابها أو غير ذلك والثاني

باطل لأنه إما أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر أنه ليس كذلك أو غيره وهو باطل لأن القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ يوسف: ٢ فلا يحمل على ما ليس في لغتهم) (٥). وَسَأتناوَل – بِمَشيْئةِ اللهِ تَعَالى – جمِيْعَ مَا بَنى علَيْهِ فِكْرَتَهُ وَ كِتَابُه، مَناقِشاً دَلكَ بأُسلُوبٍ عِلمِيٍ فِيْ المُنَاقشَة، معتَمِداً عَلى اللهِ تعَالى ثُم بِكَلامِهِ سُبْحَانَهُ و المُقَدِّمَاتِ الشَّرْعيَّةِ، و الأُصوْل اللغَوِيةِ، و الحقَائِقِ التَّارِيْخيَّةِ، مُسْتَجْمِعاً المُقَدِّمَات العَقْليِّةِ بالآدَابِ المَرْعيَّةِ فِي كُلٍّ.. ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام: ١٥٢ وَقَوْلِ اللهِ سُبحَانَهُ وَتعالى ﴿ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٨١ – ١٨٣ والله مِنْ وراءِ القَصْدِ.

المدخل:

فكرة كتاب (الهيروغليفية تُفَسِّرُ القرآن) تقوم على أن اللغة العربية أخذت عن الهيروغليفية وأن الأحرف المقطعة هي ترجمةٌ حرفيةٌ للهيروغليفية، وأن اللغة الهيروغليفية لغةٌ مقدّسةٌ عالمية تكلم بها أبونا آدم ونزل بها من السماء - (وأنه أهبط في مصر) - ومن بعده سائر الأنبياء، ونزل الوحي بها في نصوصٍ غير محددة مما أنزله الله على أنبيائه، وأن أخناتون هو أبونا وسيّدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، وبأن حكماء الفراعنة وملوك القبط قد يكونون أنبياء، وأن ليس ثمت حضارةٌ عربية لها تاريخ سوى المادية فقط، وأن مسميات الأماكن في العربية لم تكن سوى ترجمة حرفية للهيروغليفية.

ومن المناسب ذكره التنبيه على:

- أنه مع ادعاءاته تلك؛ فلم يرجع إلى كتب اللغة لإرجاع الكلمات العربية إلى أصولها.

- ولم يرجع كذلك إلى كتب التاريخ العربي أو حتى الإسلامي للتوثق من صحة ما يقول.
- فعلاً فقد رجع إلى مراجع منتقاة ومختارة (بعناية) من أصول اللغة الهيروغليفية !!!.
- أنه بنى كلامه ونظرياته على فرضياتٍ متتابعة لم يترك مجالاً للنصوص القرآنية أو السنة النبوية أو كلام السلف من الصحابة والتابعين، ولا حتى موافقة اللغة العربية، وكان أن قال على البديهة فيما يعرفه من لغة العرب وجزم على السرعة فيما يتخيله من تاريخ مصر وحضارتها – بعيداً كل البعد عن الواقع والدليل العلمي مما كان سبباً في تخبطه في لغة العرب وكان عجلاً في تصحيح التاريخ والحضارات واللغات والنبوات - ولم يكن لديه المؤهلات الكافية سواءً الأكاديمية أو الخلفية العلمية أو حتى المراجع المعلوماتية فكان أن اختار (باحث إسلامي) !!

الفصل الأول:

الهيروغليفية تعريفها، حقيقتها، علاقتها باللغة العربية؛ وتحته ثلاث مباحث

- **المبحث الأول: مفهوم الهيروغليفية**
- **المبحث الثاني: حقيقة نسبة الهيروغليفية للقداسة**
- **المبحث الثالث: علاقة الهيروغليفية باللغة العربية**

- **المبحث الأول: مفهوم الهيْرُوْغليْفيَّة**

أولاً: مسمى الهيروغليفية جلب لنا هذا الاسم بالعربية:

١- فإما أن يكون لدينا غير مفهوم؛ وهذا منتفٍ؛ لأننا نعرف ماذا تعني !!

٢- أو يكون عربياً؛ علماً ودليلاً على شيءٍ نفهمه، وقد تبين لنا أنها اللغة القديمة في مصر.

٣- أو أن تكون تلك الكلمة مستخلصةً من لغةٍ أخرى وهذا ما يؤكده حميد مجاهد إذ يقول: والهيروغليفية تعبير يونانى مكون من مقطعين "الخط المقدس" ولم يكن القدماء المصريون يستعملون كلمة "هيروغليفية" لوصف هذا النوع من الكتابة، وإنما كانوا يسمونه "نتر خرو" وهى أيضا تعبير مكون من مقطعين ومعناه "الكلام المقدس"[٦].

ولم يكن سعد عبد المطلب ليرجع هذه الكلمة بكلامٍ علميٍ كالذي ذكره حميد مجاهد، ولكنه ذكر فرضيات غير علميه.

- **المبحث الثَّانِيْ: حَقِيْقَةُ نُسْبَة الهيْرُوْغليْفيَّة للْقَدَاسَةِ**

أكثر المؤلف من نسبة الهيْرُوْغليْفيَّة إلى القَدَاسَة، وهو بذلك يضفى شرعية عمله ويحتفي بصبغة القداسة، ويحتفي بالقدْسيَّة لدى قوْمه، ولكن من وجهة نظري الشرعية ينبغي ملاحظة الآتي من أنَّ:

القداسة لدينا معشر المسلمين لا تثبت إلا لنص عن معصوم، أو بنصٍ منه، أو ذاتاً رتب الشارع عليها حكماً يقتضي التعظيم.

١. أن العهد قريب قياساً باللغات الخالدة والبائدة فاليونانية لا تزال معروفة، والهندية كذلك، والفارسية – أيضاً – والرومانية، والبابلية (لغة الدبلوماسية الدولية في وقتٍ من الأوقات) – كما يؤكد الأخيرة: الدكتور عبد الحليم نور الدين –[٧]،

والحبشية، بل والعبرية في خيبر وجوار المدينة، والأقباط في مصر؛كلها كانت حيةً ومتداولة في وقت الرسول الكريم ﷺ، وقد خاطبهم الرسول عليه الصلاة وأتم السلام بلغته العربية مما يدل:

- على أن التاريخ لا يسعفهم في توقّع عالميتها ولا سيادتها فضلاً عن إثبات قداستها.
- ولم تكن كذلك في وقت المسيح عليه الصلاة والسلام (ومن المعلوم أن فلسفة اليونان والهند ونحوهم كانت موجودة إذ ذاك كوجودها اليوم وأكثر إذ كانت اليونان موجودين قبل مبعث المسيح وكان أرسطو وملكه الإسكندر بن فليبس قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة) [٨]، ومع ذلك لم يتنزل الوحي بها ولم تكن لها القداسة ولا السيادة؛ وإلا لنزلت بها الأناجيل مصداقاً لقول الله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤.
- وأن القداسة لم تكن لأيٍ من االغات المعاصرة لنزول القرآن فلو كانت القدسية لأحدها في عصر الرسول الأكرم ﷺ لنزل بها القرآن.
- أن نزول القرآن باللغة العربية دليلٌ واضحٌ لإثبات القداسة لها ونسخ ماسواها فالشريعة الإسلامية ودستورها القرآن ينسخان ماتقدمها من قداسة وشريعة!!.
- والحق يقال أن الرسول ﷺ خاطبهم باللغة التي ينبغي أن يتعلموها لينالوا بها الشرف وأن يبتغوا من يتعلم العربية أو يترجمها لهم لا أن القرآن يعوّج عن اللغة الباقية المقدسة.
- وكذلك سار الصحابة ودعوا وفق هذا المنهج: (فإن الصحابة دعوا أكمل الأمم العرب والعبرانيين والروم والفرس ومن دخل في هؤلاء من القبط والنبط وفتحوا أوسط الأرض..... والترك والديلم والبربر والحبشة وغيرهم....) [٩]،

ومن هذا المنطلق نجد الرسول ﷺ يكتب للمقوقس ملك مصر بالعربية ويدعوه للإسلام بها، ويرد عليه الآخر بلغة الإسلام لا لغة القبط ولا مصر، علاوةً على ذلك يهدي إليه مارية القبطية بلغتها العربية وأجدادها (المصريون).

- **المبحث الثَّالِثُ: علاقَة الهيْرُوْغليْفيَّة باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ**

وحول هذا المسمى "الهيروغليفية" حكم المؤلف بعربية الاسم، وتأول اسماً للهيروغليفية أسماه: لغة (الـ: ضاد) وقال: (لا معنى لها - يعني: الضاد – في اللغة العربية على الإطلاق سوى أنها اسمٌ لحرف الهجاء، ولا تضيف هذه التسمية على اللغة العربية شرفاً ولا تسلب منها شرفاً لأنها لا تدلُّ على معنى... – ثم يضيف – وجبَ إعادة الحق إلى نصابه لنقول: إن اسم اللغة المصرية القديمة عند الفراعنة هو لغة: الـ"ضاد") [١٠].

فما الذي يريد أن يصل إليه بعد كل هذا فلغتنا ومسمياتنا عربية، ولغتنا "لغة الضاد" وقد أراد بلغته الهيروغليفة لغة: الضاد - أنها في الأصل – (وأفصح من نطقها محمدٌ ﷺ وعمر بن الخطاب وهكذا نفهم منه جدلاً أن لغة الرسول الأكرم ﷺ والصحابة متقنةٌ جداً لمعاني الهيروغليفية ومبانيها)، والواضح من خلال الكتاب جدله المستميت عن فكرته بغض النظر عن أدبيتها وشرعيتها وعلميتها ومحاولة تقييد الخصوم بعبارات لا تمتُّ إلى الموضوع بأي صلة !!

٢. أن إثبات عالمية اللغة الهيروغليفية وأقدميتها يجعلنا نتسائل هل مراد الباحث من وراء ذلك تفضيلها على العربية و سبقها لها ونحن حيال ذلك أمام رأيين:

- الرأي الأول: أن نسلّم له بذلك؛ وعليه فتكون اللغة واللهجة الهيروغليفية أصلاً للغتنا العربية، وأنها كانت لغة الأنبياء السابقين، ولم يقم على ذلك دليلاً محسوساً، وهو بذلك ينسى الأهم في بناء رأيه وفكرته، وقد نسي أو تغافل أو

حوّر لغة الهيروغليفية بعيداً عن الخوض في إثباتها لغة لأي من الوحي السابق للأنبياء - (في حين أن كلامه بالوحي المنزل للجميع باللغة الهيروغليفية لو سلّم له به لأوشك أن يكون نزول القرآن بالعربية منفرداً خارجاً عن إطارها؛ وعليه يكون القرآن عربياً والإسلام عربيا والمؤمنون به عرب فقط) !!

- الرأي الثاني: ألاَّ نُسلّم له (وهو ما أعتقده) وألتمس له الآتي:

١. أن أصول العربية قديمة قِدَم الزمن: من نسل نوح عليه الصلاة والسلام وتمايز العرب العاربة والعرب المستعربة [١١].

٢. ثبوت العربية (بالنصوص الصحيحة) في لسان إسماعيل عليه الصلاة والسلام [١٢]، - كما قال رسول الله ﷺ ﴿ أوّلُ من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة ﴾ [١٣]، ونطقه لها أخذاً من جرهم والعماليق وأهل اليمن، وغيرهم من الأمم المتقدمة من العرب قبل الخليل عليه الصلاة والسلام [١٤]، مما يعني استمرار قِدمها وانتشارها في قبائل الجزيرة العربية ولذا يقول ابن حجر: (وبهذا القيد – يعني "العربية المبينة" يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأولية المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها) [١٥].

٣. مما يعني تناسبها الطردي مع العبرية كونها نزل بها الوحي لأقوام تحدثوا بها زمن وجود من يتحدث العربية.

٤. وبناءً على تلك المقدمة: يبقى الشك دائراً حول عالمية اللغة الهيروغليفية وقداستها وانتشارها – لا تاريخها وقِدمها على الأقل -.

- وجود التشابه في اللغتين، لا يعني التطابق،وإنما يعني التمازج بينهما فتأخذ كل لغةٍ من الأخرى من غير إخلال بأصول كل لغة ومفاهيم ألفاظها؛فاللغة العربية نعلم

جميعاً أن فيها كلماتٍ معرّبة ولكن دخولها العربية صيرها عربية ونفهما ضمن إطارها العربي و لا نقحم أصل لغتها، ومجرد عربيتها يجعل لها معنى ثرياً في اللغة العربية الواسعة، وهذا إنما يكون قبل نزول القرآن (لأن حديثنا في نصوص قرآنية)، أما ما بعد نزول القرآن فلا شأن لنا به أصلاً؛ إذ القداسة لما احتواه القرآن بأحرفه السبعة فقط.

- أما العلاقة – فيما ذكره المؤلف بين اللغتين فهو يدلّ كما قال الدكتور عبد الحليم نور الدين عن أمثال (سعد عبد المطلب): (إن هؤلاء لا هم لهم إلا الإثارة، وهم بهذا يسيؤون بقصد وبغير قصد – إلى حضارتنا وهم في سبيل الترويج لبضاعتهم يربطون بين ما يكتبون وبين الأنبياء والقرآن الكريم، ضاربين بذلك على وتر العقيدة والدين في نفوس الناس) [١٦]. ولذا يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: (يقرأ القرآن رجلان: فرجل له فيه هوى و نية يفليه فلي الرأس يلتمس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم أولئك يعمى الله عليهم سبل الهدى و رجل يقرؤه ليس فيه هوي و لا نية يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به و ما اشتبه عليه و كله إلى الله ليتفقهن فيه فقها ما فقهه قوم قط حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه) [١٧].
- وفيما يزعمه (سعد عبد المطلب) من علاقة بعض الكلمات بالعربية أنها علاقة ضعيفة [١٨]، معللاً ذلك بـ: أن تلك الكلمات موضحةٌ بآيات تشرح معناها أو تتساءل عن مرادها ومفادها، وهذا كلامٌ خطيرٌ جداً ينبغي ملاحظته كما يلي:

١. أن ما أتى ونزل به القرآن فهو عربيٌ، و عربيته مأخوذة بالنصِّ عن الله تعالى فأيُّ تجنٍّ على النص يزعمه لإثبات شذوذه وحيفه عن الصواب؛ ليحاسبه الله

عليه، والله تعالى يقول ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ فصلت: ٤٤ ويقول تعالى مبيناً أن هذا التفصيل إنما هو بالعربية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١.

٢. أن الأصل في القرآن أن يفسر بعضه بعضاً لطبيعة الخطاب الرباني الرائع فيه ولأن بعضه يشبه بعضاً في المعاني والألفاظ والفصاحة والبلاغة كما قال الله ﷻ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ الزمر: ٢٣.

١) أن المعروف من كلام العرب وكلام الله أصلٌ للعرب أن السؤال مفاده التنبيه ويوحي بمزيد من الاهتمام مع أن الأمثلة التي ذكرها (سعد عبد المطلب) قد كفانا إياها بعض أهل العلم في أنه إذا جاء الاستفهام بـ: وما أدراك ؟ فإن الجواب عنها يكون مباشراً، وما كان السؤال بـ: وما يدريك فليس ثمت جواباً محدداً قال سفيان بن عيينة: "كل ما في القرءان: "وما أدراك" فقد أخبره به، وكل شيء قال فيه: "وما يدريك" فلم يخبره به"[١٩] !!

٢) ثم إن الكلمات التي زعم علاقتها بالعربية ضعيفة قد جانب الصواب فيها تماماً (ولكن جرأته في سبيل إثبات فكرته جعلته ينسى أدبه الشرعي في التعامل مع النصوص القرآنية)، وإلا فالكلمات التي ذكرها لها تصاريفها العربية المتقنة والواضحة وأصولها الثابتة:

١- فالحطمة: والتي يجمع أهل اللغة وأهل التفسير أن أصول الحطمة: ثلاثة أحرف هي من حَطَمَ: الكسر في أي وجهٍ كان [٢٠]. والوجه البلاغي في تسمية النار بالحطمة: أنها يحطم بعضها بعضاً ويأكل بعضها. وقد قال رسول ﷺ ﴿... فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَيُقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ... الحديث﴾ [٢١]، ومنه كذلك سمي الحطيم في مكة[٢٢].

٢- كلمة: علق زعم معناها بالهيروغليفية: العقل و الفهم والإدراك، ومن ثمّ حرف لأجل ذلك معنى الآية بإجماع المسلمين، زاعماً أن تكريم الإنسان يقتضي عدم خلقه من ماءٍ مهين و أنه لا يعقل أن تبدأ السورة بـ: كلمة، إقرأ،وهي من وظائف الفكر والمعرفة والعلم وباسم الله الخالق العليم ثم يتبع ذلك تذكير بعملية الخلق المهين، وعند النظر في هذه الدعوى يتبين:

- أن لفظ "علق" أصلها عربيٌ قح وهي تعني: علق بالشيئ إذا نشب فيه [٢٣]. ويطلق أيضاً: على الدم الغليظ الجامد وهو ما اشتدت حمرته[٢٤]، ويطلق أيضاً على: دودٍ أسود في الماء وهو معروف – كما يقول ابن منظور –[٢٥]. والمراد به في الآية – كما يقول أهل اللغة –: الدم الجامد الغليظ[٢٦]، وقد ذكر ابن منظور تصاريف هذا اللفظ بأكثر من مائة وخمسة وستين تصريفاً، فبالله عليه أين ضعف علاقتها باللغة العربية !!! [٢٧]، وماذا لو علم عنه المدافعون و أصحاب الإعجاز العلمي في القرآن ومنهم: محمد علي البار، ومحمد السيد أرناؤوط، وزكريا هميمي، إذ عدوا تلك الآية مع غيرها إعجازاً علمياً في القرآن – كما

يسندهم العلم الحديث -.

- أن الذي خلقه من ماءٍ مهين هو الذي أكرمه ولذا قال تعالى منبهاً على تلك المسألة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ الانفطار: ٦ - ٨، والبيان في هذه الآية واضح. فلمَ الغرور ؟ والله الذي خلق فسوّى فعدل؛ مما يعني عدم اعتدال الإنسان أولاً، وثانياً: أن ذلك لم يكن لولا منة الله تعالى على ذلك الإنسان.

- أنه قد ورد الجمع بين الخلق والعلم في آياتٍ متعددةٍ؛ منها قول الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ ﴾ النحل: ٧٠، فجمع بين الخلق والعلم وبين صفتيه تعالى العلم والقدرة وهي مناسبةٌ لطيفة، وقول الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل: ٧٨ ، وهي منٌ ونعمٌ منه تعالى تحتاج منا شكراً وثناءً على الله تعالى لا تألياً وتعالياً أن يكون أصلنا من ماءٍ مهين فالذي أوجد الإنسان وصوّره بيّن مدى فقر الإنسان أنْ كان مهيناً فأكرمه الله، وجاهلاً فعلّمه.

- وأيضاً يمكن توجيه المناسبة بأن يقال: إن العلم والقراءة إذا لم تكن باسم الخالق أو لأجله فإنها حقيرةٌ وتافهةٌ، فالذي خلق وعلّم؛ هو الذي يستحق التعلّم لأجله

- يضاف إلى ذلك أن الله لم يخلق الإنسان من فهمٍ وإدراك فهذا مخالفٌ للآيات الأخرى لولا خلق الله تعالى وتعليمه للإنسان كما قال الله ﷻ ﴿ ... وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾

النساء: ١١٣ وقول الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل: ٧٨.

١- كلمة: الحاقة فقد زعم معناها بالهيروغليفية أنها: الساحقة الكبرى، وأن علاقتها بالعربية ضعيفة، (والحق يقال: إن الضعف في فهمه للّغة العربية، ولعدم تقديره لكلام الله ﷻ بل لا أبالغ إذا قلت لضعف أمانته العلمية فأقل الواجب أن ينظر في أحد المعاجم اللغوية العربية؛ ليدلف من خلالها إلى أحد معانيها في ظل مبانها الموجود في المعاجم)؛ فالحاقة في اللغة: النازلة والداهية[٢٨]، ومنها: الساعة والقيامة[٢٩]؛ لأنها: تحُقُّ كل مُحاقٍ في دين الله بالباطل، أي كل مجادل ومخاصم فتحقه أي: تغلبه وتخصمه[٣٠].يقول البخاري رحمه الله: (بَاب الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ: الْحَاقَّةُ لِأَنَّ فِيهَا الثَّوَابَ وَحَوَاقَّ الْأُمُورِ الْحَقَّةُ وَ الْحَاقَّةُ وَاحِدٌ وَ الْقَارِعَةُ وَالْغَاشِيَةُ وَ الصَّاخَّةُ وَالتَّغَابُنُ غَبْنُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ) [٣١]. ومن المناسب ذكره ما حكاه عمر بن الخطاب في سماعه لتلك السورة كما في مسند الإمام أحمد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿ خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَقُمْتُ خَلْفَهُ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ قَالَ فَقُلْتُ هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالَ فَقَرَأَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ قَالَ قُلْتُ كَاهِنٌ قَالَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ﴾ [٣٢]. فهذا عمر يعي دلالتها العربية بكل وضوح ويحكي حاله بكل

تجرد فاللسان عربي والخطاب رائع فليس بقول كاهن ولا بقول شاعر.وقد تحدث ابن منظور في اللسان عن تصريف لفظ "حقق" بما يقرب من عشر صفحات !! (٣٣).

٢- ومثلها الطامة فهي: الداهية التي تغلب ما سواها، وهي: القيامة لأنها تعلو كل شيء وفوقه (٣٤)، وفي قول الله ﷻ ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ النازعات: ٣٤ كما يقول الفراء: هي القيامة تَطُمُّ على كل شيء ويقال: تَطِمُّ(٣٥)، وقال البخاري: الطامة التي تطمّ على كل شيء (٣٦). وهو نفس قول الزجاج بزيادة لفظ: الصيحة(٣٧).

- وعن وجود مسميات بالعربية لها معان صحيحة في الهيروغليفية فهذا لايعني عدم عربيتها فضلاً عن أن يكون أصلها غير عربي، فالمسميات التي ذكرها لها أصول عربية فالطائف على سبيل المثال: ذكر معناها أنها الأرض الشرقية، وهذا لا خلاف فيه في عربية الاسم، ونزيد عليه أن اليمن لأنه يمين الكعبة، والشام لأنه شمال الكعبة، ويعبر في العربية عن الشمال بـ: الشام، كما قال رسول الله ﷺ ﴿ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ﴾ (٣٨).ومكة كذلك بأصولها العربية سواءً بـ: الباء أو الميم، ومن معانيها ما يقوله قتادة - عند قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ آل عمران: ٩٦ - قال: (فإن الله بكّ به الناس جميعاً، فيصلي النساء قدام الرجال، ولا يصلح ببلدٍ غيره) (٣٩)، وأما يثرب التي فرح بأصلها الهيروغليفي فليته سكت ولم يذكرها، لأن المنافقين حين دعوا أصحابهم للتخلي عن رسول الله ﷺ يوم

الخندق قالوا لهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١٣، فكيف يدعونهم بـ: يأهل النبي ويا أهل مهاجر النبي، والقرآن الكريم في يقظةٍ في اللفظ مع الكفار، إضافة إلى أن النبي ﷺ سمى المدينة طابة، فكيف يترك الاسم المؤنس بالهجرة والاستقبال ويسميها بـ: طيبة، كما قال رسول الله ﷺ ﴿....إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِي فَلْيَتَعَجَّلْ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ. فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ: هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ... الحديث﴾ (٤٠).

- أن كل ما ذكره (سعد عبد المطلب) في هذا المجال فهو من باب الاحتمال، واللغة العربية فسّرت تلك الأسماء أو بعضها،
- أن توافق بعض تلك الكلمات مع أصل غير عربيٍ لا يسوّغ أن تكون الكلمات غير عربية، كما أن هذا لا يُعد عيباً في اللغة بحكم التداخل الجغرافي والسكاني أيضاً، كما قال ابن عطية (وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش وكسفر مسافر بن أبي عمرو إلى الشام وكسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرى مجرى العربي الصحيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر إلى غير ذلك) (٤١).

- أن اللغة العربية بـ: فقهها وعلم الأصوات والأجراس فيها تؤدي الغرض كاملاً في التسمية والمعاني، ومن ثمّ فلا حاجة لاستجلاب ما عند الآخرين؛ { خاصةً إذا علمنا أن:
- المكان الواحد قد تختلف فيه المسميات كلٌ يعبر بحسب لغته فـ: الطائف الأرض الشرقية عن مكة ((أرض إسماعيل العربي – عليه الصلاة والسلام)) وهي كذلك في اللغة الهيروغليفية: الأرض الشرقية؛ فما الشأن إذن ؟ والجواب عن ذلك أن نقول: بأن لكلٍّ لغة خصوصيتها وتعبيرها ولفظها وشكلها ونطقها أيضاً، هذا إذا ما أخذنا في الحسبان أن المسميات في اللغات قد تتفق في الاسم الواحد مثل كلمة: ماما، لدى كل اللغات وكل رضيع يلفظ بهذا الاسم وذات اللفظ والمعنى متحد !!

والعلم عند الله تعالى

الفصل الثاني: تعقبَات على المؤلف

وتحته أربعة مباحث:

- المبحث الأول: مخالفته لما قال به أهل العلم، وشذوذه عنهم.
- المبحث الثاني: مغالطته في سبب إسلام الصحابي عبد الله بن سلام
- المبحث الثالث: ادعاؤه على بعض الأنبياء أنهم تحدَّثوا بالهيروغليفية، وزعمه جواز نزول الوحي عليهم باللغة الهيروغليفية.
- المبحث الرابع: الرد على شبهته أن الهيروغليفية من الإعجاز اللغوي

المَبحث الأَوَّل: مخالفته لما قال به أَهْلِ العِلْمْ، وشُذُوْذُهُ عَنْهم

زعم الكاتب – سعد العدل – أن اللغة الهيروغليفية في تاريخها لغةً مقدسةً عالمية؛ وأنها كانت لسان العصر لكل من أراد أن يعبر أو يكتب أو يتكلم - يقول -: وربما لا نبالغ إذا قلنا حتى بعثة نبينا محمدٍ ﷺ [٤٢]، وحقيقة هذا الزعم مردود بالآتي:

شذوذه عن جماعة المسلمين من المفسرين وأهل الحديث وأصحاب اللغة، فلم يكلف نفسه عناء قراءة المراجع العربية ولو قرأها لم يتجرأ كجرأته تلك، وقد تتابع في كتابه على الشذوذ في الآراء والاحتمالات والنتائج – أيضاً – بشكلٍ لم يُسبق إليه وصورٍ لا يحتملها العقلاء؛ فمن شذوذه:

أ- خروجه على الناس بما تستنكره الأفئدة قبل العقول، وكون هذا القول محدث، ولم يقل به أحدٌ من العلماء السابقين وقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله (لا تقل في مسألةٍ إلا بإمام) وسيأتي مزيد كلام حول تلك المسألة من كلام الشوكاني.

ب- إدعاؤه قداسة وعالمية اللغة الهيروغليفية بتخمينات وظنونٍ بنى عليها فكرته وافترض لأجلها ما يناسبه، وسيأتي الحديث عنهما.

ت- جزمه بأن نزول آدم كان باللغة الهيروغليفية وأنه نزل أرض مصر، (ولتأكد من صحة المعلومة فقد ذكر ابن كثير أكثر من عشرة أقوال في مكان هبوطه) ولم يذكر مصر منها!![٤٣].

ث- زعمه بنبوّة بعض حكماء الفراعنة كانوا أنبياء كـ: أمنوبي، وبأن أبان إبراهيم هو: سيده أخناتون [٤٤]!!

ج- شذوذه في الأحرف المقطعة وقوله بعدم ورود ذلك عن سلف الأمة وقد ضلّ في هذا الجانب، فأبرز من ذكر وجمع أقوال السلف في تلك المسألة - ابن جرير الطبري - وقد هدم وفنّد الأقوال الأخرى لأنه ليس لها رصيدٌ من أقوال

السلف فقال – رحمه الله –: (فإنه خطأ فاسد لخروجه عن أقوال جميع الصحابة، والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل فكفى دلالةً على خطئه شهادة الحجة عليه بالخطأ) (٤٥).

١. تفسيره للقرآن مع عدم معرفته بأصول التفسير وقواعده، ولعل من أطرفها أن يكون عالما بالعربية وتصاريف كلام العرب.

٢. تهجمه على الحضارة العربية وأنها كانت تحت تأثير المصالح الدنيوية (كانت حضارةً ماديةً بحتة تعتمد على الوساطة التجارية في المقام الأول أي أنها حضارة " درهم ودينار ") (٤٦)، وقد جمع الشرّ كله في هذا الكلام فأين أيام العرب، وأين عكاظ، وأين مجنة وذي المجاز ؟؟ وأين التراث الشعري القديم، والتاريخ الذي بناه الأقدمون (وليس هذا من رفع شأن الحضارة بدون الإسلام، ولكنه بيان للواقع) وأين أيام اليمن وسدود الحضارات وأين ما شاده قوم عاد وقوم صالح في مدائنهم، بل في مكة مهد الحضارة العربية والعالمية ومن هنا نلحظ المعنى الكبير في اختيار مكة للعرب ومبعث النبي ﷺ منها ونزول القرآن باللسان العربي، وكيف يغفل علماء مصر عن اتهامات هذا الرجل وقد ردوا من قبله على تلامذة مارجليوث في قدحهم بأيام العرب وتاريخهم؛ لينفذوا من خلالها إلى زعزعة الثقة بالموروث العربي وبث الشكوك حول عربية القرآن وشرف لغته.

٣. شذوذه عن (منهجه هو) في ترجمته للأحرف المقطعة في سورة الشورى، وقد اعتسف الأحرف وجمله وتراكيبه لأجل ذلك ولأجل رؤياً رآها في المنام (٤٧).

٤. ادعاؤه على كتب التفسير أنهم قالوا بـ: (أن بالقرآن كلمات معجمة { غير عربية} وكتب التفسير كلها بالإجماع تعج بأمثال هذا الكلام) (٤٨).

وهذا جزءٌ من افتراءاته على علماء التفسير، لأسباب:

١. أن الإجماع منهم وقع على عربية القرآن.

٢. أن ما وقع فيه الاختلاف هي الكلمات التي دخلت العربية وتكلم به العرب قبل نزول القرآن ونزل بها القرآن لعربيتها وعدم نكارتها لدى العرب (ومانزل به القرآن فيكون ضمن العربية) وقد تكلم عليها أهل اللغة أيضاً يقول ابن عطية في تفسيره: (والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍ مبين فليس فيه لفظةٌ تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسانٍ آخر) (٤٩) وسيأتي مزيد كلامه في تلك المسألة.

٣. وأن وجود الأعجمي في القرآن مخالفٌ للآيات القرآنية بنفي العجمة عنه كما قال ﷻ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ فصلت: ٤٤، ولكان أول من يفرح بذلك الكفار المعاصرون للنبي ﷺ الذين يتتبعون المتشابه من القرآن.

٤. أن ما كان أصله أعجمياً فقد تناوله علماء اللغة وأهل التفسير بالدراسة وبينوا عربيته ودخوله العربية.فلا مجال إذن لخفاء الأحرف المقطعة عنهم (بلغتها الهيروغليفية) لأنهم قد تناولوا كل الألفاظ التي يمكن أن يقال عنها أنها من أصل أعجميٌ.

المبحث الثَّانِي: مغالطته في سبب إسْلامُ الصَّحَابِيِّ عبْد اللهِ بنِ سلامٍ لفكِّه شَفْرَةِ الأَحْرُفِ المُقَطَّعَةِ

٥. غالط مؤلف كتاب الهيروغليفية في سبب إسلام عبد الله بن سلام بادعائه سبب إسلامه: (فكه لشفرة الأحرف المقطعة) [٥٠]، وقد تولّى أنس بن مالك رضي الله عنه الرد على هذه الكذبة بقوله: ﴿ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أُخْبِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ بِقُدُومِهِ وَهُوَ فِي نَخْلِهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ فَإِنْ أَخْبَرْتَنِي بِهَا آمَنْتُ بِكَ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْهُنَّ عَرَفْتُ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ قَالَ فَسَأَلَهُ عَنْ الشَّبَهِ وَعَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَعَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يَحْشُرُ النَّاسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ قَالَ أَمَّا الشَّبَهُ إِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ ذَهَبَ بِالشَّبَهِ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ ذَهَبَتْ بِالشَّبَهِ وَأَمَّا أَوَّلُ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ وَأَمَّا أَوَّلُ شَيْءٍ يَحْشُرُ النَّاسَ فَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ فَآمَنَ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ ابْنُ سَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ وَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوا بِإِسْلَامِي يَبْهَتُونِي فَأَخْبِئْنِي عِنْدَكَ وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلَهُمْ عَنِّي فَخَبَّأَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ فَجَاءُوا فَقَالَ أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ قَالُوا هُوَ خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَعَالِمُنَا وَابْنُ عَالِمِنَا فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ تُسْلِمُونَ فَقَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَأَخْبِرْهُمْ فَخَرَجَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا أَشَرُّنَا وَابْنُ أَشَرِّنَا وَجَاهِلُنَا وَابْنُ جَاهِلِنَا فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ قَدْ أَخْبَرْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ ﴾ [٥١].

المبحث الثالث: ادعاؤه على بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ أنهم تحدَّثوا بالهيروغليفية، وزعمه جواز نزول الوَحْيُ عَلَيْهِم باللغة الهيروغليفية.

زعمه بمعرفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للغة الهيروغليفية (المقدسة) ونطقهم لها، وأن سليمان عليه الصلاة والسلام قد يكون هو (أمنوبي)؛ وزاد الجُرعة حين قال: (أم كان هؤلاء المصريون – إخناتون وأمنوبي – من الأنبياء الذين قال فيهم رب العزة ﷻ لرسوله ﷺ ﴿... وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ...﴾ غافر: ٧٨ أم نقلوا عن أنبياء لا نعرفهم، أم اقتضت عالمية اللغة المصرية ذلك ؟!) [٥٢]، وإجابةً عليه ينبغي ملاحظة الآتي:

١. أن هذا ليس مجاله في التشريع والعقيدة، فليس كل حكيمٍ نطرد عليه صفة النبوة والرسالة (وقد يكون صدق الحديث واللهجة منها) لكن الجزم أو حتى الافتراض لذلك يحتاج لدليلٍ، فلدينا لقمان، وملهمون، ومحدثون، وحكماء، بل ومتدينون – أيضاً – قد يكونون أقرب للنبوة والرسالة ممن كانوا فلاسفةً أو حكماء أو ممن يكونون (فراعنة) !!

٢. قول الله تعالى ﴿.. وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ..﴾، ليس هذا دافعاً للتكهن وإبداء الرأي في ذلك، بل الواضح أن ثبوت ذلك لايكون إلا بنصٍ معصوم، فالذي قصّ نبأ بعضهم ولم يقصص عن الآخرين ولم يسمهم؛ هو الذي أرسلهم ونبأهم، وجعلنا مؤمنين بهم جميعاً وقال ﴿... وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ...﴾.

أن جميع الأنبياء إنما نزل عليهم الوحي بلغتهم السائدة، فكيف يزعم أن موسى عليه الصلاة والسلام وقومه يتكلمون الهيروغليفة (وهي لغةٌ مقدسةٌ عنده كما يزعم) ثم يخاطبهم بلغةٍ أقل منها ذيوعا وانتشاراً واستعمالاً، وقد أتى من بعده الدكتور محمد

عمارة ليقلب المجنّ بقوله: (أن اليهودية هى شريعة موسى عليه السلام الذى ولد ونشأ وبعث وعاش ومات ونزلت عليه التوراة فى مصر باللغة الهيروغليفية قبل ظهور اللغة العبرية التي هي لهجة من لهجات الكنعانيين) [٥٣]:

- وهل يعقل أن ينزل الوحي باللهجة المحدودة ويدع اللغة (العالمية المقدّسة) !!
- وكون محمد عمارة يزعم تأخر العبرية عن الهيروغليفية لهذا السبب، هذا من الخطأ البيِّن فأبونا ونبينا إبراهيم عليه السلام قد دخل مصر وتكلم مع ملكها: عمرو بن امرئ القيس بن سبأ – كما ذكره السهيلي وابن هشام – [٥٤]، (وقيل: سنان بن علوان – حكاه الطبري) [٥٥]؛ فهل خاطبه بالهيروغليفية وترك العبرية وهي لغة أبنائه والوحي لهم.
- وجود مسميات بلغات أخرى – غير الهيروغليفية – للأقباط كما في: اسم هاجر؛ وهو اسم سرياني باللغة السريانية، وأبوها كان أحد ملوك الأقباط (في نفس المكان الذي وجدت فيه الآثار الفرعونية والخطوط الهيروغليفية، وفي موقع قريب من الأشمونيين) [٥٦] – في المدينة الأم للغة الهيروغليفية والمكان المفترض جدلاً بقاء لغة الخطاب بها مع بقاء آثار الرسوم، كما يقول القائل:

هـــذه آثارنـــا تـــدلُّ علينـــا فاســألوا بعـدنا عـن الآثـار [٥٧]

- أننا سمعنا عن تعريب التوارة والإنجيل من اللغة الأصل العبرية والتي لايزال الأقباط وغير العرب يقرؤون بها، لكننا لم نسمع من قال: بأن العبرية ترجمةٌ للهيروغليفية أو أن التوراة والإنجيل قد ترجمتا إلى الهيروغليفية، ومن المناسب ذكره فيما يتعلق بالترجمة لهما فإن (هذا الذي في هذه "التوراة" التي بأيديهم غلطٌ منهم وتحريفٌ وخطأٌ في التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد، ولا سيما ممن لايعرف كلام العرب جيداً، ولا يحيط علماً بفهم كتابه أيضاً، فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأٌ كثيرٌ، لفظاً ومعنى) [٥٨]. ويقول ابن تيمية –

رحمه الله – في فعل الأولى في مسألة التداخل اللغوي والترجمة: (فإن هؤلاء يفهمون هذا الكتاب بالعربية وقد قرءوه وناظروا بما فيه وإذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربية كان ذلك أبلغ في قيام الحجة عليهم فإنهم يمكنهم فهم ما قال بالعربية وتفهيم ذلك لقومهم باللسان الآخر. الثاني: كما أنهم يفهمون ما في كتبهم الرومية والسريانية والقبطية وغيرها ويترجمونها للعرب من النصارى بالعربية فإذا قامت الحجة على عرب النصارى باللسان الرومي فلأن تقوم على الروم باللسان العربي أولى فإن اللسان العربي أكثر انتشارا في العالم من اللسان الرومي والناطقون به بعد ظهور الإسلام أكثر من الناطقين بغيره وهو أكمل بيانا وأتم تفهما وحينئذ فيكون وصول المعاني به إلى غير أهل لسانه أيسر لكمال معناه ولكثرة العارفين به وهؤلاء علماء النصارى يقرءون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي مع أن مصنفيها كانوا عجما من رومي ويوناني وغير ذلك فما المانع أن يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي باللسان العبري مع أنه أخذ عن الرسول بالعربي فهو أولى بأن يعرف به مراد المتكلم به) [٥٩].

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٤ فالبيان مستلزم الخطاب باللغة السائدة التي يحصل بها البيان الكامل والتام، ويتحقق منها المقصود بالهداية والبلاغ، فهل هو:

ب- عدولٌ من الله عن الأولى ؟؟ هذا كفرٌ وخلاف صريح القرآن.

ت- أو أن الخطاب الرباني كان باللغة السائدة لا اللغة المقدسة المعروفة لدى عيِّنة من الناس ؟؟ وهذا بحد ذاته خطأ فالقرآن قد أوضح المسألة تلك بجلاء.

ث- أو أن الله خاطب الأنبياء بلغة أقوامهم ولسانهم السائد في زمانهم لا البائد من أجدادهم،

والبحث فيما وراء ذلك يُبيِّن سخافة الرأي القائل بعالميتها وقداستها وتنزُّل الوحي بها؛ إذ كيف يصح الزعم والانتصار لذلك الرأي مع ضخامة الفرح باكتشاف اللغة الفرعونية مما يدلُّ على:

١- أنها لم تكن مستعملة عالمياً،

٢- أو كان ذلك على نطاق ضيِّق في زمن الفراعنة.

٣- وأن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام (وقد عاش في مصر زمن مَنْ يدّعون معاصرته لفرعون مصر آنذاك) داخل في قوله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤ فلسان قومه من بني إسرائيل اللسان العبري وكذلك ملك مصر من الأقباط بمفهوم الآية أن العبرية بلسان قومه ومَنْ أُرسلَ إليهم في زمَنه وبعده، فما شأن العالمية إذن ؟؟ وما قيمة القداسة المزعومة للغةٍ يفترض أن ينزل القرآن بها في ذلك العصر المؤكد لديهم أنها سائدةٌ ومقدّسةٌ ومتداولة؟؟

٤- أو أنها لم تكن سوى لهجة تعارف عليها الأقباط ورسموا لها أشكالاً، وهذا ما يذهب إليه بعض المتخصصين ويؤكده رئيس قسم الآثار المصرية[٦٠] (فيما يمثِّل هذا القول نكسة كبيرة وخيبة للكاتب سعد عبد المطلب العدل)، مما يعنى أنها كانت

- كما أعتقده وأراه قريباً من الصواب -: لغة الترف الاجتماعي،كما يوجد الكثير من اللهجات واللغات والرموز التي يستعملها فئامٌ من الناس كلٌ على مستوى المسخدمين لها ونوعيتهم؛ لا أن الحاجة دعت إليها !!.

المبحث الرَّابِعُ: الرد على شُبْهَتِهِ أن الهيروغليفية من: الإعْجَازِ اللُّغَوِيِّ

١. وكونه يزعم أن الإعجاز اللغوي (في القرآن) يتمثل في ذوبان اللغة الهيروغليفية في (لغة القرآن) ذوباناً لا نكاد نحسُّ بغرابته [٦١]؛ وحقيقة هذا الزعم أن يكون قدحاً ما ندري ما أراد صاحبه، لكننا - بغض النظر عن قصده - مطالبون بإيضاح الحق ولذا فنحن ننظر للآتي:

أ- أن الإعجاز اللغوي إنما يكون بما يفهمه المخاطبون العرب والذين قبلوا التحدي على علاته واستسلموا للإعجاز اللغوي والبياني واللفظي له.

ب- أن ذوبان اللغة الهيروغليفية في (القرآن)، لا يعد إعجازاً للقرآن، ولا يحتاج القرآن أن (نذيب فيه) اللغات من أجله فيكفي أن القرآن عربي وهذا هو الذي يحصل به الإعجاز وقد وقع به التحدي.

ت- أن في ذلك تنقصاً للعرب ولغتهم (فضلاً عن خروجه عن نصّ القرآن وروحه) فكيف يخاطبهم الله بشيءٍ لا يعرفون معناه !!

ث- أما ذوبان لغة في لغة فهذا قد يُردُّ به عليه: أنه مادام أن اللغة الهيروغليفية ذائبةٌ في العربية فقد صارت عربية ولسانها عربي ومعناها عربي، وكيف نقول بذوبانها في العربية ثم نستثني المعاني ونقول بأنها غير عربية !!

وكونه يزعمها هيروغليفية جاءت للإعجاز؛ إذ لم تكن حروفاً من المعجم أو الهجاء[٦٢]؛ فإننا نقول:

أ- لا يلزم أن تذكر جميع الأحرف سواءً المعجمة أو الهجائية في الأحرف المقطعة أو بعضها.

ب- كما لا يلزم في كل آيةٍ أو سورةٍ أن توجد حروف الهجاء أو المعجم فيها كاملةً، ولم تجمع أحرف الهجاء إلا في آيتين هما قول الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ

أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ آل عمران: ١٥٤ وقوله الله ﷻ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الفتح: ٢٩. ولهذا لم تجمع أطول آية في كتاب الله تعالى (آية الدَّين)أحرف الهجاء كاملة؛ كما تقدم.

ت- وأن الإعجاز لا ينحصر في حروف بعينها.

ث- مع الاتفاق على أن كل حرفٍ في القرآن فهو معجزٌ في أي مكانٍ من القرآن مفرداً جاء أو في جملة.

ج- وأن ذلك الإعجاز والتحدي إنما هو تحت اللسان العربي الذي نزل به القرآن، وتحداهم به.

ح- لايمكن المجازفة (في تفسير كتاب الله الكريم اعتماداً على التشابه الصوتي الذي لا يكفي على الاطلاق وحده ليكون دليلاً) (٦٣).

الفصل الثالث: وجه الصواب في التفسير بالهيروغليفية؛

وتحته ثلاث مباحث

المبحث الأول: كَلامُ الله سُبْحَانَه وَخطَابُهُ لأَنْبِيَائه بِلُغَاتهم
المبحث الثاني: أقوَالُ العُلَمَاء فِيْ حَمْلِ القُرآنِ عَلَى غَيْرِ العَرَبِيَّةِ وأنَّه مُخَالِفٌ للإجْمَاعِ
المبحث الثالث: التَّرْجِيْحُ فِيْ الأَحْرُفِ المُقَطَّعَةِ

المبحث الأوَّل: كَلامُ اللهِ سُبْحَانَه وَخِطَابُهُ لأَنْبِيَائِهِ بِلُغَاتِهم

أما الحديث عن الأحرف المقطعة فيحتاج أيضاً إلى مقدمةٍ ندلف من خلالها إلى فهمٍ أوسع لما يقع من اختلافٍ في تأويلها وتفسيرها:

١. معلومٌ بالقطع أن الله تعالى حينما كلّم الأنبياء كلمهم بلغاتهم ولهجاتهم، وأثبت ذلك في كل وحيٍ أنزله؛ بما يفهمه أهل تلك اللغة والمخاطبون به وقت تنزل كلامه مما يعني استقلالية كل لغة بتوافقها مع أهل زمانها ومكانهم ولسانهم وتبعاً لذلك فالناس محتاجون إلى الوحي إما عن طريق معرفتهم المباشرة إذا كان من قوم النبي وممن يتحدث بلسانه أو عن طريق التبليغ والترجمة:

- ولذا يقول ابن تيمية – رحمه الله -: (التوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده وموسى عليه السلام لم يكن يتكلم إلا بالعبرية وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به) (٦٤).

- اختلاف السياق في القصة الواحدة وتنوّع الألفاظ مع أهمية النقل الموّحد، لكن ذلك ليؤكد استقلالية وشمولية اللغة العربية أولاً، وثانياً: ليدل على أن القرآن بلغته العربية وما عبّر عنه القرآن ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥، ليس في أزمةٍ تبقي أثراً للغات الأخرى فيه، بل اللغة العربية تخاطب العرب بما يفهمونه ولا يحتاجون معه إلى لغةٍ أخرى،

(وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم وما قالوا لهم وأكثرهم لم يكونوا عربا وأنزله الله باللسان العربي) (٦٥).

٢. تميز الخطاب العربي ودلالاته وشموليته وسعة ألفاظه تجعل من المستحيل فقرها للغات الأخرى الأعجمية، وهذا مما يعني تميُّز الدلالة القرآنية بلسانها العربي وخطابها العربي وفهم العرب لكل معانيه العربية المحكمة وهذا في سائر القرآن، فلم يأت القرآن إلا بلغة العرب السائدة والمعروفة(٦٦)، ولا يمنع وجود ألفاظ غير عربية استخدمها العرب فصارت عربية بحكم الاستعمال العربي لها صحيحة التركيب مفهومة المعاني لدى السامع والمخاطب ونزل بها القرآن الكريم، و (لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه لا بلغة وعادة واصطلاح أحدثه قوم آخرون بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته كما قال ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ... ﴾ إبراهيم: ٤ (٦٧).

- أن الترجمة من حيث هي ترجمة – أعني ترجمة التفسير - قد تجوز لإيصال المعنى لمن لا يعرفون العربية، ومن هنا أيضاً نقول بوجود مجموعةٍ من الكلمات تتوافق واللهجة الهيروغليفية فحملها عليها غلطٌ أيضاً، لكن المشكلة لديه تكمن في الآتي:

١. لم يكن لديه إلمام باللغة العربية أولاً، ومن أجل ذلك جاء بالهيروغليفية التي قد يكون رجع فيها إلى مراجع منتقاة في اللغة الهيروغليفية (التي قد تختلف ترجماتهما من مرجعٍ لآخر وتختلف تصريفاتها من مرجعٍ لمثله، وهو ما كان واضحاً في مناقشة عبد الحليم نور الدين له – مع أن هذا الرجل أحد ثلاثة أكاديميين تخصصوا في لغة مصر القديمة-)

٢. أنه جعل ذلك تفسيراً للآيات والأحرف المقطعة بمعنى أن ذلك هو (مراد الله) والجزم بذلك، وهذا غلط.

٣. لم يرجع في تلك الأحرف إلى أصلها العربي واللغة العربية وكتب التفسير والسنة النبوية، بل اكتفى بنقل رؤوس المسألة دون النظر في أدلة كل قول، ومجرد الحكم بظاهر العربية في التفسير غير مقبولٍ شرعاً يؤكد هذا المعنى القرطبي في تفسيره بأنه لا ينبغي الحكم بالعربية من أول وهلة بل الواجب النظر في تصاريف كلام العرب وأصوله: (الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي والنقل والسماع لابد له منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر ألا ترى أن قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلوا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولا يدري بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم فهذا من الحذف والإضمار وأمثال هذا في القرآن كثير وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه والله أعلم)[٦٨].

فكيف بصاحب هذه الشبهة الذي لم يحكم بها لا بظاهر العربية ولا بأصولها (ولم يكن أهلاً لذلك أصلاً بدليل تركه الرجوع في المواضع المختلفة فيما بننا وبينه إلى المراجع العربية والتاريخية) بل زعم أعجمية الكلمات والأحرف !!

٤. كونه ينزع إلى أواخر السور لإثبات الترابط مع أولها، ويدع ما يلي تلك الأحرف المقطعة وما فيها من ترابط كاملٍ وواضحٍ.

٥. اعتسف الترجمة لبعضها كما هو واضح في سورتي الشورى ومريم.

المبحث الثَّانِيْ: أقوَالُ العُلَمَاء فِيْ حَمْلِ القُرآنِ علَى غَيْرِ العَرَبِيَّةِ وأنَّه مُخَالِفٌ للإجْمَاعِ

أن حمل الخطاب القرآني على غير العربية يعتبر تحريفاً للكلم عن مواضعه، فالقرآن عربي بالاتفاق ومواطنه التي نزل عليها القرآن تناولها الرسول ﷺ وصحابته الكرام بالقبول والتلقي كما يفهمه كل عربي ولا يجوز حمل معانيه ولا الاستدلال بألفاظه بغير العربية، كما يقول الله ﷻ في سورة يوسف ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ يوسف: ١ – ٣ وقول الله ﷻ في سورة الرعد ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧﴾ الرعد: ٣٧ وقول الله ﷻ في سورة النحل ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ النحل: ١٠٣ وقول الله ﷻ في سورة طه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣﴾ طه: ١١٣ و يقول الله ﷻ في سورة الشعراء ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٦ وقول الله ﷻ في سورة فصّلت ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ فصلت: ١ – ٣ وقول الله ﷻ في نفس السورة ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ فصلت: ٤٤ وقول الله ﷻ في سورة الشورى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ الشورى: ٧ وقول الله ﷻ في سورة الزخرف ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الزخرف: ١ – ٤ وقول الله ﷻ في سورة الأحقاف ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأحقاف: ١٢، ومن هنا شدد ابن جرير الطبري – رحمه الله –على من حمل معنى الحروف المقطعة على غير العربية {وكأنه يردُّ في الحقيقة على صاحب كتاب الهيروغليفة} فيقول: (وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ويستعملون بينهم من منطقهم في جميع آيه فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور التي هن لها فواتح سبيل سائر القرآن في أنه لم يعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ولها بينهم في منطقهم مستعملين لأن ذلك لو كان معدولاً به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم كان خارجا عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن فقال تعالى ذكره ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥ وأنى يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ما يكذب هذه المقالة وينبىء عنه أن العرب كانوا به عالمين وهو لها مستبين فذلك أحد أوجه خطئه والوجه الثاني من خطئه في ذلك: إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك الخطاب به وذلك إضافة العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله إلى الله تعالى ذكره) [٦٩]، وفي هذا السياق يقول ابن تيمية – أيضاً –: (إن الاستدلال بالقرآن إنما يكون على لغة العرب التي أنزل بها بل قد نزل

بلغة قريش كما قال ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٤، وقال ﷻ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٥، فليس لأحد يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام واصطلاح خاص بل لا يحمله إلا على معاني عنوها بها إما من المعنى اللغوي أو أعم أو مغايرا له لم يكن له أن يضع القرآن على ما وضعه هو بل يضع القرآن على مواضعه التي بينها الله لمن خاطبه بالقرآن بلغته ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفا للكلام عن مواضعه) (٧٠).

٣. أن الخطاب بغير العربية (وليس الكلمات المعرّبة) يحتاج إلى دليلٍ آخر في القرآن أو على أقل تقديرٍ إشارةٌ إليه أو إلى التضمّن لغير العربية، والدليل قام وثبت على خلافه، بالنصِّ على العربية تارةً وبنفي العجمة تارةً أخرى كما في قول الله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣ وقول الحق ﷻ ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤، إضافةً إلى أن تتابع النزول بهذه الأحرف بعد قيام السبب والموجب للبيان وعدم بيان النبي ﷺ لذلك: قدحٌ في شريعتنا، فاليهود آمنوا بعجزهم لما تتابع النزول بتلك الأحرف وقالوا (خلط علينا) (٧١)، ومع ذلك فلم يرد عن النبي ﷺ شئيٌ في ذلك، وحينئذٍ فتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولا واقع شرعاً ولا عقلاً، وعليه:

- فإن الرسول الأكرم ﷺ وهو المبلّغ عن الله كما قال ﷻ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ النساء: ١٠٥ وقال ﷻ ﴿ ... وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

النحل: ٤٤ وقال ﷻ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾ النحل: ٦٤ (ومعلوم أنه كان من أفصح الناس وأحسنهم بيانا واللغة التي خاطب بها أتم اللغات وأكملها بيانا وقد امتن الله عليهم بذلك كما في قوله تعالى ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف: ١ – ٢ وقال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾ الزخرف: ٣ وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤ وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥ وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى ... ﴾

فصلت: ٤٤ وأمثال ذلك، فإذا كان المخاطب أعلم الخلق بما يخبر به عنه ويصفه ويخبر به وأحرص الخلق على تفهيم المخاطبين وتعريفهم وتعليمهم وهداهم وأقدر الخلق على البيان والتعريف لما يقصده ويريده كان من الممتنع بالضرورة أن لا يكون كلامه مبينا للعلم والهدى والحق فيما خاطب به وأخبر عنه وبينه ووصفه) (٧٢). وهذا الذي تكلّم فيه اليهود جزءٌ من الاختلاف وفِرْقٌ منه ومع ذلك فقد سمع رسول الله ﷺ كلامهم، ولم يتطرق رسول الله ﷺ لمعانيها؛ فيتوجّب إذن:

- الجزم بأنها من المتشابه الذي يجب الإيمان به، وأن التشابه داخلٌ في العربية، فاليهود مع كلامهم العربية وقراءتهم العبرية لم يتجاوزوا في تخمينهم وحدسهم مانزل عليه القرآن، وهم حريصون أشد الحرص على تتبع تلك المواطن لتقدير عمر أمة محمدٍ ﷺ ورجاء موافقة القرآن لهم في رأيٍ أو شيء

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّرْجِيْحُ فِيْ الأَحْرُفِ المُقَطَّعَةِ بَيْنَ العَرَبِيَّةِ وَ العُجْمَةِ

وبناءً عَلى هذه المقدِّمَاتِ فِي المطْلَبَيْنِ الأَوَّلَيْنِ:

- الجزم بأنها من اللسان العربي المبين الذي يجب الإيمان به، وأن هذه الأحرف مفهومة المباني متعددة المعاني، فهي أحرف عربية، ومن جنس الكلام العربي المفهوم سواءً في التهجي أو في الجمل، فاليهود مع كلامهم العربية وقراءتهم العبرية لم يتجاوزوا في تخمينهم وحدسهم مانزل عليه القرآن، وهم حريصون أشد الحرص على تتبع تلك المواطن لتقدير عمر أمة محمدٍ ﷺ ورجاء موافقة القرآن لهم في رأيٍ أو شريعة.

ومَّما يؤيدُ هذا الرأي أنَّهُ:

٤. إذا كان الله ﷻ يخاطبنا بعد كل افتتاحية للسور بالأحرف المقطعة فإنه ينصُّ – غالباً- على أن القرآن عربي كما قال الله ﷻ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ يوسف: ١ – ٢ ويقول ﷻ ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾ الزخرف: ١ – ٤، فالمنة هنا بالعربية وقد أثبتها القرآن ونصَّ على تأملها وتدبرها في إطار العربية واللسان العربي، وهذا هو عين العقل:

- فإما ألا نكون كذلك:

أ-: فنؤولها على لغةٍ أخرى نخالف بها القرآن الكريم ونصه، وندخل – عياذاً بالله – في مصادمة النص القرآني بعقولنا وآرائنا واجتهاداتنا بلا دليل شرعي؛ بل قام الدليل الشرعي على خلافه – كما تقدم تفصيل ذلك -.

ب-: ونقدحُ حينئذٍ في شريعتنا إذ لم تبين مراد الله، ونقص نبينا محمد ﷺ في بيانه؛ فالشريعة من لدن محمد ﷺ إلى القرن الرابع عشر الهجري لم ينتدب لها من يفك لغة القرآن سوى صاحب كتاب الهيروغليفية (سعد العدل)، والله تعالى يقول لنبيه محمد ﷺ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾ النحل: ٦٤ وهو الموّكل بالبيان والإيضاح وهذا جزءٌ من الاختلاف – كما تقدم أيضاً -.

- وإما أن نكون عقلاء نعي الخطاب القرآني ونتدبر تلك الأحرف في إطارها العربي، ولسان القرآن العربي ومالم يرد في شريعتنا ولا لغتنا ومالم تحتمله عقولنا فإننا نؤمن به؛ وأنه داخل ومندرجٌ تحت قول الله ﷻ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ آل عمران: ٧ – ٨ ، ونكون بذلك قد امتثلنا الأمر الرباني، وأثبتنا حينها المعجزة الخالدة للقرآن (أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤، وقال الله ﷻ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ النساء: ٨٢ ولولا أن القرآن نزل بلسان العرب ما جاز أن تتدبره ولا أن تعرف العرب معانيه إذا سمعته؛ فلما كان من لا يحسن كلام العرب لا يحسنه وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه علم انهم علموه لأنه بلسانهم نزل) [٧٣]. وفي هذا السياق يقول البيضاوي: (بأنها لو لم تكن مفهمة كان

الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت مفهمة فإما أن يراد بها السور التي هي مستهلها على أنها ألقابها أو غير ذلك والثاني باطل لأنه إما أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر أنه ليس كذلك أو غيره وهو باطل لأن القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ فلا يحمل على ما ليس في لغتهم) (٧٤).

- وأبرز الشوكاني الموقف في تلك الأحرف فقال – في معرض رده على رأي الزمخشري واستنباطاته في تلك الآية -: (وإذا تقرر لك أنه لا يمكن استفادة ما ادعوه من لغة العرب وعلومها لم يبق حينئذ إلا أحد أمرين:
  - الأول: التفسير بمحض الرأي الذي ورد النهي عنه والوعيد عليه وأهل العلم أحق الناس بتجنبه والصد عنه والتنكب عن طريقه وهم أتقى لله سبحانه من أن يجعلوا كتاب الله سبحانه ملعبة لهم يتلاعبون به ويضعون حماقات أنظارهم وخزعبلات أفكارهم عليه
  - الثاني: التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع وهذا هو المهيع الواضح والسبيل القويم بل الجادة التي ما سواها مردوم والطريقة العامرة التي ما عداها معدوم فمن وجد شيئا من هذا فغير ملوم أن يقول بملء فيه ويتكلم بما وصل إليه علمه ومن لم يبلغه شيء من ذلك فليقل لا أدري أو الله أعلم بمراده فقد ثبت النهي عن طلب فهم المتشابه ومحاولة الوقوف على علمه مع كونه ألفاظا عربية وتراكيب مفهومة وقد جعل الله تتبع ذلك صنيع الذين في قلوبهم زيغ فكيف بما نحن بصدده فإنه ينبغي أن يقال فيه إنه متشابه المتشابه على فرض أن للفهم إليه سبيلا ولكلام العرب فيه مدخلا فكيف وهو خارج عن ذلك على كل التقدير وانظر كيف فهم اليهود عند سماع الم فإنهم لما لم يجدوها على نمط لغة العرب

فهموا أن الحروف المذكورة رمز إلى ما يصطلحون عليه من العدد الذي يجعلونه لها [٧٥] فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات[٧٦]. فانظر ما بلغت إليه أفهامهم من هذا الأمر المختص بهم من عدد الحروف مع كونه ليس من لغة العرب في شيء وتأمل أي موضع أحق بالبيان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الموضع فإن هؤلاء الملاعين قد جعلوا ما فهموه عند سماع ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ من ذلك العدد موجبا للتثبيط عن الإجابة له والدخول في شريعته فلو كان لذلك معنى يعقل ومدلول يفهم لدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ظنوه بادئ بدء حتى لا يتأثر عنه ما جاءوا به من التشكيك على من معهم) [٧٧]أ.هـ.

- ثم أين بيان الصحابة والتابعين – من أهل القرون المفضلة – رضي الله عنهم – (وهم أعلم الناس بالمنقول والمعقول في شريعتنا) – لبلاغة القرآن وحديثه عن لغة مصر في الأحرف المقطعة وهم قد فتحوا مصر ويوجد بها كثيرٌ من الطلاسم آنذاك !!، كما أنهم رضي الله عنهم خاطبوا – الملوك وغير الملوك من أهل تلك اللغات الأعجمية – بلغة القرآن ومِنْ ثَمَّ تعلّم الأعاجم لغة القرآن وعلّموها ودرسوها (وكان منهم الأقباط) فأين دورهم في أن القرآن نزل موافقاً للغتهم.

٥. وما يزعمه (سعد عبد المطلب) من وجوب البحث عن معاني الأحرف المقطعة في اللغات الأخرى القديمة أو المعاصرة لنزول القرآن إذا لم نجد لها معنى في لغتنا العربية [٧٨]؛ مردودٌ بما يأتي:

- أن هذا ليس مبرراً للخوف من عدم فهم معاني القرآن في هذا المجال؛ فعربية القرآن لا تضطرنا إلى البحث في غير العربي أصلاً.

- أننا نجد في القرآن نصوصاً غير محددة المراد (لكنها مفهومة المعنى داخلةٌ فيما يُتَدبّر من القرآن)، مما يدل على وجود ما استأثر الله بعلمه والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً (منها كيفية صفات الله مع ثبوتها في القرآن وفهمنا لمعانها) و كذلك علم الساعة وعمر أمة محمد من خلال فواتح السور.
- تحديده الحرف بـ: اللغة واللهجة[٧٩]، يبقي الاحتمال بأنه الحرف المستقل، وهذا يجعل الاستدلال به محتملاً: وإذا وجد الاحتمال سقط الاستدلال. ولو سلمنا له جدلاً بأن الحرف له معنى وأنه مفهوم تنزلاً، لكننا نبقى في بناء وتركيبة المعنى وهو ما قد نختلف في الاصطلاح عليه يقول ابن تيمية: (فلفظ الحرف في اللغة يتناول الأسماء والحروف والأفعال وحروف الهجاء تسمى حروفا وهى أسماء كالحروف المذكورة في أوائل السور لأن مسماها هو الحرف الذي هو حرف الكلمة وتقسم تقسيما آخر إلى حروف حلقية وشفهية والمذكورة في أوائل السور في القرآن هي نصف الحروف واشتملت من كل صنف على أشراف نصفيه على نصف الحلقية والشفهية والمطبقة والمصمتة وغير ذلك من أجناس الحروف) [٨٠]. ويقول البيضاوي في تفسيره: (ألم وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف ح فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فإن تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي؛ ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الألف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم

تلها العوامل موقوفة خالية عن الإعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة إياه ومعرضة له إذا لم تناسب مبنى الأصل ولذلك قيل: ص و ق مجموعا فيهما بين ال ساكنين ولم تعامل معاملة أين وهؤلاء) (٨١).

- زعمه بأنها كلماتٌ وجملٌ (٨٢)؛ يتناقض مع كونها حروفاً فلم ترسم الأحرف على شكل كلمات في الأحرف المستقلة الواحدة، ولم تعرب نطقاً في المجموعة، وهذان هما جهة التلقي في القراءة الرسم والنطق (فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الإسمية و الفعلية و إنما هي أسماء موقوفة و لهذا لم تعرب فإن الأعراب إنما يكون بعد العقد و التركيب و إنما نطق بها موقوفة كما يقال أ ب ت ث و لهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به فإنها في النطق أسماء؛ و لهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا: زا.قال: نطقتم بالاسم و إنما النطق بالحرف: (زه)، فهي في اللفظ أسماء و في الخط حروف مقطعة: ألم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه و سلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف و لكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف والحرف في لغة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما و فعلا و حرفا؛ ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام: اسم و فعل و حرف، جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل؛ فإنه لما كان معروفا من اللغة أن الاسم حرف و الفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل؛ و هذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام.) (٨٣) وبعض معاني كلام ابن تيمية موجود في تفسير الزمخشري (٨٤).

- وهي لم تكن كذلك حروف هجاء فقط؛ لأنها لم تكتب في الحرف المجرد كما تنطق – كما تقدم – ومنه نعلم:
- أنها كانت حروفاً رسمت بالتوقيف وقرأت بالتلقي ذات دلالةٍ إعجازيةٍ خاصةٍ، فهي من جنس المتلوّ في القرآن لفظاً، ومن نفس المكتوب رسماً، (و ينطق بها غير معربة و لا يقال فيها معرب و لا مبنى لأن ذلك إنما يقال في المؤلف فإذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معروفا و هي المتشابه كان ما سواها معلوم المعنى و هذا المطلوب) [٨٥].

الهوامش والتعليقات:

(١) صدر كتاب (الهيروغليفية تفسر القرآن) لمؤلفه: سعد عبد المطلب العدل، (عَمِلَ مرشداً سياحياً عن الآثار في مصر !!) عن: مكتبة الحاج مدبولي، عام ٢٠٠٢ ميلادي.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي، ١ / ١٥، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣هـ.

(٣) درء تعارض العقل و النقل، لابن تيمية (٧/ ١٢٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ١/ ٩٥، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٥) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ١/ ٤٩٢- ٤٩٣

(٦) مجلة بيان الثقافة، للكاتب حميد مجاهد، الأحد، ٥ جمادى الاخرة ١٤٢١هـ ٣سبتمبر ٢٠٠٠- العدد ٣٤.

(٧) ملحقات الهيروغليفية، ص ١٩٢.

(٨) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٠/ ٣٠٠ – ٣٠١).

(٩) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٠/ ٣٠٠).

(١٠) ملحقات الهيروغليفية، ص ٢٠١.

(١١) الفتح ٦ / ٤٠٣، (طبعة دار المعرفة)،.

(١٢) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبد الله التركي ومركز البحوث بدار هجر، (١ / ٤٤٤) طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية، و انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٦ / ٤٨٦، دار الكتب العلمية.

(١٣) عزاه ابن كثير للأموي كما في البداية والنهاية (١ / ٤٤٤)، وعزاه ابن حجر أيضاً للحاكم من حديث ابن عباس { واعترض عليه الذهبي كما في فيض القدير للمناوي ٢ / ١٦١ }، وآخر للزبير بن بكار من حديث علي وحسّن إسناده - كما في الفتح ٦ / ٤٠٣، (طبعة دار المعرفة)، وعزاه المناوي في فيض القدير للطبراني والديلمي (٣ / ٩٢ – ٩٣)، وصححه

الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٨١).

(١٤) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبد الله التركي ومركز البحوث بدار هجر، (١ / ٤٤٤) طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

(١٥) الفتح ٦ / ٤٠٣، (طبعة دار المعرفة)،.

(١٦) ملحقات الهيروغليفية، ص ١٩٠.

(١٧) مجموع الفتاوى، لا بن تيمية، ١٧ / ٣٩٤ وعزاه للجوزجاني والطلمنكي.

(١٨) الهيروغليفية ص ٢٧ – ٣٠.

(١٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ٢٣ / ٥٦٦.

(٢٠) وانظر تصريفات هذا الفعل في لسان العرب، لابن منظور، ١٢ / ١٣٧ حتى ١٤٠، فيما يدلُّ دلالة واضحة على تهافت رأي (سعد عبد المطلب) وأن دلالتها قويةٌ ومؤصلة باللغة العربية؛ لكن يبدو أنه – سامحه الله – لا يملك خلفيةً مقبولة عن لغتنا العربية ولا حتى عن النصوص الشرعية؛ إذ قد يكون مشغولاً بعمله مرشدا للسائحين عن الآثار الهيروغليفية ومن ثمّ انشغل بدراسة اللغة الهيروغليفية دراسةً نظرية وتطبيقية، وقد يكون أثر ذلك على لغته العربية، أو أنه لا يملك نسخةً من كتاب "لسان العرب"، لابن منظور، ولا حتى "معجم البلدان" لياقوت الحموي.

(٢١) روى هذا اللفظ، البخاري في (١١٣٦ و ٤٢١٥ و ٤٢٥٨) ومسلم (٢٦٩) والنسائي (١٤٥٥) وابن ماجه (٤٢٥٨) وأحمد (٢٣٩٣٨).

(٢٢) لسان العرب، لابن منظور، ١٢ / ١٣٩.

(٢٣) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٢٦١.

(٢٤) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٢٦٧.

(٢٥) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٢٦٧.

(٢٦) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٢٦٧.

(٢٧) وقد تحدث ابن منظور رحمه الله عن تلك اللفظة في لسان العرب ١٠ / ٢٦١ وحتى ٢٧٠، ويبدو أن (سعد عبد المطلب) أصلاً لم يتعلم العربية ولم يترّق إلى التعليم الأكاديمي فاتجه

للسياحة وهذا ما أثّر عليه فعلاً وكان ضعيفاً في تطبيقه المنهجي لدراسة اللغة العربية واللهجة الهيروغليفية !!!

(٢٨) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٥٣.

(٢٩) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٥٤.

(٣٠) لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ٥٤.

(٣١) صحيح البخاري مع الفتح، ١١ / ٤٨١، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣٢) مسند أحمد (١٠٢).

(٣٣) اللسان ١٠ / ٤٩ وحتى ٥٨.

(٣٤) اللسان ١٢ / ٣٧٠.

(٣٥) المصدر السابق.

(٣٦) البخاري مع الفتح ٨ / ٨٩٤، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣٧) اللسان ١٢ / ٣٧٠.

(٣٨) البخاري (٦٩٥٨) ومسلم (١٦٨٨) والترمذي (٢٣٣٩) ابن ماجه (١٨٣٣) وأحمد (١٧٥٣٥ و ١٨٥٦٤).

(٣٩) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ١٢٧) و الطبري في تفسيره (٧ / ٢٤) و ابن أبي حاتم في التفسير(٢ / ٤٠٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٤٤) وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد (٢/ ٢٦٦).

(٤٠) البخاري (١٣٨٧ و ١٧٣٩ و ٤٠٧٠) ومسلم (٢٤٦٦ و ٤٢٣٠) وأحمد (٢٢٤٩٨).

(٤١) المحرر الوجيز في تفي تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي، ١ / ٣٦ – ٣٧، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣ هـ، ونقله عنه الثعالبي والقرطبي في تفسيريهما.

(٤٢) الهيروغليفية ص ١٩ – ٢٠.

(٤٣) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبد الله التركي ومركز البحوث بدار هجر، (١ / ١٨٤ – ١٨٧) طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

(٤٤) ملحقات الهيروغليفية، ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٤٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ١ / ٩٤، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥ هـ.

(٤٦) الهيروغليفية ص ١٩٦.

(٤٧) ملحقات الهيروغليفية، ص ١٧٨.

(٤٨) الهيروغليفية ص ١٧١.

(٤٩) المحرر الوجيز في تفي تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي، ١ / ٣٦، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣ هـ.

(٥٠) الهيروغليفية ص ١٧٠.

(٥١) البخاري (٣٦٤٥ و ٤١٢٠) وأحمد (١٣٣٦٥).

(٥٢) الهيروغليفية ص ١٨ – ٢٠.

(٥٣) جريدة الوطن بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٢ م.

(٥٤) نقلاً عن: فتح الباري، لابن حجر، ٦ / ٤٨٣، دار الكتب العلمية.

(٥٥) نقلاً عن: فتح الباري، لابن حجر، ٦ / ٤٨٣، دار الكتب العلمية.

(٥٦) نقلاً عن: فتح الباري، لابن حجر، ٦ / ٤٨٥، دار الكتب العلمية.

(٥٧) ذكر هذا البيت الفخر الرازي في تفسيره ولم ينسبه لأحد، مفاتيح الغيب ١٩ / ١٢، المكتبة التوفيقية بمصر.

(٥٨) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبد الله التركي ومركز البحوث بدار هجر، (١ / ١٨٢ – ١٨٣) طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

(٥٩) الجواب الصحيح، لابن تيمية، ٢ / ١٠٢ – ١٠٣.

(٦٠) القائل هو الدكتور / عبد الحليم نور الدين، رئيس قسم الآثار المصرية القديمة ورئيس قسم الآثار المصرية بجامعة القاهرة والأمين العام للمجلس الأعلى للآثار في مصر الهيروغليفية، ص ١٨٧.

(٦١) الهيروغليفية ص ١٤٥ – ١٤٦.

(٦٢) الهيروغليفية ص ١٦.

(٦٣) ملحقات الهيروغليفية، ص ١٩٣.

(٦٤) الجواب الصحيح، لابن تيمية، ٢ / ٥٢.

(٦٥) الجواب الصحيح، لابن تيمية، ٢ / ٥٢ – ٥٣.

(٦٦) للمزيد حول النقطة ذاتها ينظر، مجموع الفتاوى، لا بن تيمية، ٧ / ١٢٠ وما بعدها من وجوه الرد.

(٦٧) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٧ / ١٢٣).

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، ١ / ٣٤، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢ هـ.

(٦٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ١ / ٩٥، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥ هـ.

(٧٠) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ١ / ٤٩٢ – ٤٩٣.

(٧١) وهذه الرواية أخرجها البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٢٠٨، وابن جرير ١ / ٢١٧ وقال: خبرٌ في إسناده نظر وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على ابن جرير، وضعفه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٦٠، والشوكاني في فتح القدير ١/ ٢٩.

(٧٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥ / ٣٧٣).

(٧٣) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ٢ / ٢٢ – ٢٣.

(٧٤) تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، ١/ ٨٥- ٨٦، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ.

(٧٥) كما أخرج ابن إسحاق والبخاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ...﴾ فأتى أخاه حيي

بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ فقال: أنت سمعته فقال نعم فمشى حيي في أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد ألم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك ﴿الم ذلك الكتاب﴾ قال بلى قالوا أجاءك بهذا جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك الأنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك فقال حيي بن أخطب وأقبل على من كان معه الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه واجل أمته إحدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال وما ذاك قال:﴿المص﴾ قال: هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم قال وما ذاك قال: ﴿الر ﴾قال: هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان هذه إحدى وثلاثون سنة ومائتان فهل مع هذا غيره قال: نعم ﴿ المر﴾ قال فهذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون سنة ومائتان ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري قليلا أعطيت أم كثيرا ثم قاموا فقال أبو ياسر لأخيه حيي ومن معه من الأحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وستون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة.

(٧٦) وهذه الرواية أخرجها البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٢٠٨، وابن جرير ١ / ٢١٧ وقال: خبرٌ في إسناده نظر وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على ابن جرير، وضعفه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٦٠، والشوكاني في فتح القدير ١/ ٢٩.

(٧٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، ١ / ٢٨ - ٢٩، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٧٨) الهيروغليفية ص ١٨.

(٧٩) الهيروغليفية ص ١٨.

(٨٠) مجموع الفتاوى، لا بن تيمية، ١٢ / ١١٠.

(٨١) تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، ١/ ٨٥- ٨٦، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ.

(٨٢) الهيروغليفية ص ١٦.

(٨٣) مجموع الفتاوى، لا بن تيمية، ١٧ / ٤٢٠.

(٨٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ١ / ٧٦ – ١٠٤، وبهامشه: الجرجاني و الاسكندراني، دار الفكر، بدون تاريخ.

(٨٥) مجموع الفتاوى، لا بن تيمية، ١٧ / ٤٢٠.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق العسكر وآخرين، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٣. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ.

٤. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية، ١٤١٦ هـ.

٥. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١ هـ.

٦. التاريخ الكبير، للبخاري.

٧. تفسير هود بن محكم.

٨. تفسير أحمد الغرناطي.

٩. إملاء ما من به الرحمن، للعكبري.

١٠. شعب الإيمان للبيهقي

١١. النكت والعيون (تفسير الماوردي)

١٢. تفسير الخازن.

١٣. تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر

١٤. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي.

١٥. مجلة بيان الثقافة، للكاتب حميد مجاهد، الأحد، ٥ جمادى الاخرة ١٤٢١هـ ٣سبتمبر ٢٠٠٠- العدد ٣٤.

١٦. المحرر الوجيز في تفي تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي، ١ / ١٥، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣ هـ.

١٧. شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الباز، مكة.

١٨. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبد الله التركي ومركز البحوث بدار هجر، (١ / ١٨٤ – ١٨٧) طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ١ / ٩٤، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٢٠. معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، ١ / ٧٦، تحقيق محمد بن علي الصابوني، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٢١. تفسير النسفي.

٢٢. التبيان في تفسير غريب القرآن، لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ت ٨١٥ هـ، تحقيق الدكتور / فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة ١٩٩٢ م، الطبعة الأولى.

٢٣. تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي، ١ / ٢٩ – ٣٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٤. تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ص ٢، بهامش القرآن الكريم.

٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١ / ٥٩، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م.

٢٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي، ١ / ٢٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، ١ / ١٦٧، صححه محمد حسين العرب، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٨. الهيروغليفية تفسر الفرآن، سعد عبد المطلب العدل، مكتبة الحاج مدبولي، عام ٢٠٠٢ ميلادي.

٢٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ١ / ٧٦ – ١٠٤، وبهامشه: الجرجاني و الاسكندراني، دار الفكر، بدون تاريخ.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، ١ / ٣٤، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢ هـ.

٣١. جريدة الوطن بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٢ م.

٣٢. فتح الباري، لابن حجر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٣٣. فتح الباري، لابن حجر، (طبعة دار المعرفة)،.

٣٤. تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ.

٣٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، ١ / ٢٨ – ٢٩، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٣٦. لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٣٧. تفسير ابن أبي حاتم،الجزء الأول من سورة البقرة، تحقيق د / أحمد الزهراني، مكتبة دار المدينة.

٣٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ١ / ٩٣ – ٩٤، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٣٩. تفسير الطبري، طبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة القاهرة.

٤٠. تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ١ / ٣٩ وفي ٢ / ٢٢٥، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٤١. معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، ١ / ٧٧، تحقيق محمد بن علي الصابوني، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٤٢. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، م ١ ج ١ ص ٨، دار الكتب العلمية و عباس الباز، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

٤٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، ١ / ٩٠، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم و الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٤. بدائع الفوائد، لابن القيم، ١ / ١٦٢، تحقيق معروف زريق ومحمد سليمان وعلي بلطه جي، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٤٥. معالم التنزيل، للحسين بن مسعود الغوي، ١ / ٥٨، تحقيق محمد النمر و عثمان ضميرية و سليمان الحرش، دار طيبة، الطبعة الثانة، ١٤١٤ هـ.

٤٦. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص ٥١، بدون تاريخ.